٤ وزارات
فى ستة أشهر

- فاروق يقبل رشوة من عبود لإقالة نجيب الهلالى.
- حيدر أصر على الاستقالة وقال سوف يدفع فاروق الثمن.
- فاروق يعين زوج أخته وزيرا للحربية وهو برتبة يوزباشى احتياطى.
- وزارة لمدة أربع وعشرين ساعة.

كانت سفينة الحكم منذ حريق القاهرة قد تعرضت للاهتزاز.. ويبدو أن كل شىء كان قد أصبح ممكنا حتى الأفراد العاديين للإطاحة بالوزارة.

ولا بد أن الجو نفسه كان يسمح بذلك وإلا ما حدث الذى حدث..

كان أحمد عبود باشا بلا شك أحد رجال الصناعة الذين خدموا مصر، ولكن عيبه أنه لم يكن حريصا على سداد ما يستحق عليه من ضرائب، بل كان حرصه الأكبر التهرب من أى مليم يمكن أن يسدده لحساب الضرائب.

ولما كانت وزارة نجيب الهلالى – وهى وزارة غير حزبية وقد جاءت فى ظروف قلقة – لم تكن تملك لاكتساب تأييد الجماهير غير رفع شعار الطهارة ومحاربة الفساد، فقد بدأت يده تمتد إلى أحمد عبود. حتى أصبح مهددا بالدفع أو الحجز وأخذ عبود يبحث ويبحث إلى أن هداه تفكيره. إلى عدلى أندراوس!

عبود يرشو الملك

كان عدلى اندراوس موظفا بسيطا فى شركة النسيج تسمى شركة البيضا التى كان يملك أغلب أسهمها الإنجليز. وكان لا يحمل إلا شهادة الدراسة الابتدائية. وتدرج إلى أن أصبح مديرا عاما لها. وجاءت الحرب فأثرى ثراء فاحشا. واتصل بحاشية الملك. وعرض على الملك أن يساهم فى الشركة وباع له حصة كبيرة من الأسهم وارتفعت قيمة الأسهم وكسب الملك مكسبا كبيرا. وكافأه الملك بتعيينه مستشارا اقتصاديا له، وأنعم عليه برتبة الباشوية.

توجه عبود إلى اندراوس متوسلا أن ينقذه من الهلالى. واعتذر اندراوس. ولكن عبود قال له: ما عليك. تكلم معه. قل له إنى مستعد لبذل كل شىء.

قال اندراوس مندهشا: وماذا تعنى ببذل كل شىء.

قال عبود: قل هذه العبارة للملك وهو سيفهمها.

وذهب اندراوس إلى الملك، وكان فى نادى السيارات يلعب البكاراه وتصادف أن كان ليلتها قد خسر مبلغا كبيرا. وجلس اندراوس على المائدة يلعب أيضا كعادته. ولما انتهى اللعب، قال:

أريد أن أحدثك فى شىء يا مولاى.

قال الملك وكان يشعر بالغضب عند الخسارة: دعه إلى غد.

قال اندراوس: قد يكون الغد متأخرا يا مولاى. واستطاع اندراوس أن يجذب اهتمام فاروق بهذه العبارة فاستمع منه إلى ما قاله له عبود، قال فاروق ضاحكا: وما هو الرقم الذى حدده عبود؟

قال اندراوس: أظن أنه فى حدود المائة ألف.

أجاب الملك: مائة ألف .. لا.. هذا قليل، قل له مائتى ألف..!!

إقالة وزارة الهلالى

ودفع عبود المبلغ. وقيل للهلالى أن يؤجل مطالبته بالضريبة فرفض. وطلب منه تقسيطها فرفض.

وفى يوم من أواخر مايو كنت فى مكتبى ودق جرس التليفون. وكان المتكلم عدلى اندراوس. قال لى إنه يود رؤيتى. وحددت له موعداً. وحضر فى الموعد. وجلس، وأخرج علبة جلدية فيها سيجار وعرض علىَّ سيجاراً ضخماً وأشعله وبدأ ينقر غطاء المكتب الزجاجى بأصابعه وأنا أنظر إليه، ثم تأوه وقال:

هل أنت مسرور مع الهلالى؟

قلت له: نعم.

قال: يا خسارة، لإنه رجل حنبلى خالص.

قلت: حنبلى لماذا؟

قال: يعنى لازم يخرب بيت عبود؟ هل تعلم أنه لو انخرب بيت عبود انهار الاقتصاد؟

قلت: هل مبلغ خمسة ملايين جنيه يخرب بيت عبود، وثروته مائة مليون؟ إن خمسة الملايين هى نصف دخله السنوى.

قال اندراوس: ولكن الخمسة ملايين إذا دفعت مرة واحدة تقصم الظهر. وعلى كل حال مولانا أصبح يضيق بتصرفات التطهير. وغداً سيصل الموسى إلى (ثم أشار إلى رقبته وضحك قائلا) ولعلكم تريدونها أن تصل إلى ما هو أعلى.

وأستأذن وانصرف، وأسرعت أنا إلى الهلالى. وأخبرته. فقال: وبما تنصحنى؟

قلت: ترقب.

وبدأت معاكسات الملك. واستقال الهلالى يوم أول يونيو بعد أربعة أشهر واشترى عبود الملايين الخمسة بمائتى ألف. وكانت ضربة مروعة من فاروق عجلت بالنهاية.

محاولات لإخراج حسين سرى عامر

كانت النذر واضحة وسحب السخط تلبد سماء مصر. لا يمضى يوم إلا وللضباط الأحرار منشور أو منشورات. ولاحظت أنهم يكثرون من ذكر حسين سرى عامر على أنه عامل من عوامل الفساد، ويطالبون بإخراجه من الجيش. وكنت أريد أن أفعل شيئا أحاول التخفيف به من سخط الجيش بعد أن فشلت محاولتى الأولى بإحالة عثمان المهدى إلى المعاش وتعيين حسين فريد، وهو ضابط كان محبوبا فى صفوف الجيش. فطلبت الفريق حيدر للحضور إلى مكتبى، وعرضت عليه فكرة إقالة حسين سرى عامر. فقال: إنها فكرة عظيمة.

قلت له: قدم إلىَّ اقتراحا بذلك لأعد المرسوم.

قال: تريد أن تغضب الملك منى؟

قلت: هل تعلم أن غاية ما يريده الملك هو أن يجئ يوم سيكون قريبا لإحالتك أنت بالذات إلى المعاش، ليعين مكانك حسين سرى عامر؟

قال حيدر: فى الوقت الحاضر لا أظن. لكننى لا أستبعد ذلك.

قلت: بصفتك قائد الجيش، هل تعلم كل شىء أو بعض الشىء عن تصرفات حسين سرى عامر، وعن صلته القوية بحاشية القصر؟

قال: هل تقصد تهريب الحشيش؟

قلت: نعم.. وها أنا أرى أنك تعلم، فهل تشك فى ذلك؟

قال: إنى أعلم وأشك كثيرا فى تصرفات حسين سرى عامر. ولكن ماذا أصنع ومولانا راض عنه؟

قلت: إذا كنت مخلصا لمولانا، فهل من المصلحة أن تنتشر الفضيحة؟ ألست ترى سخط قسط كبير من الجيش؟

قال حيدر: أنا معك ولكنى لا أريد أن أغضب الملك.

قلت لنجد حلا للمشكلة. سأضع مذكرة أقول فيها إنى تدارست معك موضوع حسين سرى عامر، وتم رأينا على أنه لا يصلح لتولى منصب كبير فى الجيش كقائد، وأنه يحسن إحالته على التقاعد.

أطرق حيدر، وكان يحمل عصا قصيرة أخذ يضرب بها حذاءه وخده ثم قال: أوافق وأمرى لله.

وأعددت مرسوم القانون وأرفقت به المذكرة وعرضته على مجلس الوزراء. وأذكر أن أحد الوزراء قال: ولكن هل يوافق الملك؟

قلت: اعتقد أنه يوافق.

وأرسل المرسوم إلى القصر. وكانت مفاجأة كبيرة للملك أفاق من بعدها وطلب حيدر.

مقابلة غريبة وصفعة لحيدر

وذهب حيدر. وأدخل فى صالون صغير بجوار مكتب الملك. وأجلس على مقعد قريب من الباب الذى يفصل الصالون عن غرفة المكتب، وترك الباب مفتوحا وظل جالسا ساعة كاملة لم ير أحداً ولم يقدم إليه حتى ولا كوب ماء. ثم دخل كريم ثابت الصالون متجها إلى غرفة المكتب وهو مسرع فى مشيته. وقام حيدر ليحييه، ولكن كريم أشار إليه بيده أن يجلس ولم يمد لمصافحته. وجلس حيدر. وبعد دقائق سمع صوت الملك يدوى عاليا ويصيح: أرأيت يا كريم ما فعل ضابط السجون الذى جعلناه قائدا للجيش. أصبح يتنمر علىَّ هذه الأيام. أليست مصيبة؟

كريم (متجاهلا): من هو ضابط السجون الذى يتنمر يا مولاى؟

قال الملك: حيدر يا سى كريم.. نعم حيدر .. كريم (بتعجب): حيدر وماذا صنع؟

قال الملك: اتفق هو والمراغى على إحالة سرى عامل إلى المعاش وأرسلا إلىَّ المرسوم.

كريم أعوذ بالله. هل وصلت الجرأة إلى هذا الحد؟

قال الملك: نعم. ولكنى سأعرف كيف أعاقبه. وأنت يا كريم اذهب إلى حيدر وقل له أن ينصرف. ولا أريد أن أرى وجهه.

قال كريم: أرجوك يا مولاى أن تصفح عنه. واسمح له بالتشرف بالمقابلة.

قال الملك: لا لن أقابله. ولا بد أن تأخذ معه إجراء. سمع حيدر الحديث وصعد الدم إلى رأسه. قال لنفسه: هل هنت لهذا الحد. أأشتم بهذه الطريقة المزرية وبهذه التمثيلية الرخيصة؟ أليست لى كرامة؟ والوسيط من؟ كريم ثابت الذى يضج البلد من فساه. وحضر إليه

كريم ثابت يحاول أن يطيب خاطره. ولكن حيدر أخذ عصاه وكانت على كرسى بجانبه، ولم يقل كلمة وخرج متوجها إلى منزله.

أبلغت حيدر برفض الاستقالة

بعد يومين تم اتصال بى عرفت منه أن الملك سيرسل حافظ عفيفى رئيس الديوان إلى حيدر طالبا منه أن يقدم استقالته. كنت فى منزلى مريضا فاتصلت بحيدر فى مكتبه فلم أجده، فاتصلت به فى منزله ولم أجده، وقيل إنه فى فندق مينا هوس وقابل حيدر وقل له: إذا جاءك حافظ عفيفى وطلب منك الاستقالة فلا تقبل طلب الملك، وقل له لن أستقيل وعليه أن يقيلنى، ولكنى لا أستقيل. وبعد ساعتين عاد أخى وقال إنه أبلغ حيدر الرسالة.

سألته: وماذا قال لك حيدر؟

قال أخى: قال: هذه المرة سيدفع الملك الثمن غاليا.

فى أقل من ستة أشهر شهدت مصر أربع وزارات وزارة الوفد التى أقيلت يوم ٢٧ يناير١٩٥٢ .

ثم وزارة على ماهر التى لم تدم غير شهر واحد واستقالت فى أول مارس.

ثم وزارة نجيب الهلالى التى تأمر عليها المليونير أحمد عبود ونجح فى إرغامها على الاستقالة يوم ٣٠ يونيو، وقد ظلت معلقة إلى أن صدر أمر ملكى بقبولها.

والغريب أن سر استقالته هذه لم يكن خافياً فقد ذكرت جريدة التايمز البريطانية أن الاستقالة جاءت نتيجة لمؤامرة دبرها للهلالى باشا بعض رجال الاقتصاد بالاشتراك مع بعض رجال القصر الملكى.

وكانت الوزارة الرابعة برئاسة المهندس حسين سرى باشا وقد احتفظ لنفسه بوزارتى الخارجية والحربية، وتولى محمد هاشم باشا وزارة الداخلية.

وأعلن حسين سرى أن برنامج وزارته يتضمن: إرساء نظام الحكم النيابى على أسس ديمقراطية، وتحقيق أهداف البلاد من الجلاء والوحدة تحت تاج فاروق، واتخاذ تدابير عاجلة لمعالجة الحالة الاقتصادية الخطيرة.

ولكن هذه الوزارة لم تدم غير ١٨ يوما فقط وقدمت استقالتها فى ٢٠ يوليو..

وصاحب تقديم الاستقالة إعلان حالة الطوارئ فى القاهرة ابتداء من الساعة ٧ مساء حتى صباح اليوم التالى.

وزارة الأربع والعشرين ساعة

دعا الملك نجيب الهلالى يوم ٢١ يوليو لتشكيل الوزارة عقب استقالة وزارة حسين سرى. ودعانى الهلالى للدخول معه فقلت إنى اعتذرت عن دخول وزارة حسين سرى ومازلت مصرا على عدم الاشتراك فى أية وزارة.

قال: إذا لم تدخل معى فإنى لن أشكل الوزارة.

قلت له: وما الفائدة؟ هل نسيت أنهم باعوك بمبلغ مائتى ألف جنيه.

قال: ولهذا جئت. سأعقد مجلس الوزراء بعد يومين وأطالب بتطهير القصر من كريم ثابت وبولى واندراوس وكل عناصر الفساد فيه. سيكون هذا الطلب قرارا من مجلس الوزراء. وسنرى كيف يكون وقعه.

قلت: إذا كان الأمر كذلك فإنى أقبل.

وفى الرابعة بعد الظهر ذهبت إلى قصر المنتزه فى الإسكندرية لحلف اليمين، لتستقبلنى مفاجأة.. دخلنا قاعة كبرى كل ما فيها أخضر: مقاعدها وستائرها وأبوابها. وحليت السقوف برسوم ذهبية وتدلت منها ثريات ضخمة. وكان دخولنا الساعة الرابعة إلا خمس دقائق، لأن الملك سيدخل الساعة الرابعة تماما وتبدأ بعد ذلك عملية حلف اليمين. ومرت الرابعة ولم يدخل الملك حتى دقت الساعة الربع بعد الرابعة، ورأى الوزراء رئيس الديوان يدخل ويتوجه إلى الهلالى ويهمس فى أذنه ويقوم الهلالى ويسير متوجهاً مع رئيس الديوان إلى غرفة مكتب الملك. وظللنا نحن الوزراء ينظر كل منا إلى الآخر ولا نقول شيئا. وفى الساعة الخامسة دخل الهلالى القاعة وتوجه وجلس بجوارى. وتنهد.

قلت: أخيرا.

قال: أنت تعرف أن مرسوم تعيينك وزيراً يتضمن أنك وزير داخلية وحربية.

قلت: نعم، أعلم ذلك.

قال الهلالى: لقد استدعانى الملك كما تعلم وطلب منى أن أصرف النظر عن تعيينك وزيراً للحربية اكتفاء بوزارة الداخلية.

قلت: ليس فى ذلك من بأس. وكم كنت مرهقا من الجمع بينهما.

ولكن لى سؤال: لقد علمت منك أنه قد وافق على المرسوم الذى قدمته إليه. فما الداعى لهذا التعديل الآن؟

قال الهلالى: لأنه يريد تعيين زوج أخته اسماعيل شرين. انتفضت واقفا وقلت: هل تعلم أن اسماعيل شـرين برتبة يوزباشى احتياطى؟ فكيف يقفز إلى رتبة وزير؟ إذا كان الملك يريد ضابطا فعنده على الأقل مائة لواء. لماذا لم يعين حيدر أو حسين فريد أو محمد نجيب؟

قال الهلالى: إنه مصر على تعيين اسماعيل شرين.

قلت: ألم أقل لك إنه لا فائدة. أرجوك أن تدعنى أنصرف. وأمسك الهلالى بيدى قائلا: أرجوك أن تبقى. سـتكون فضيحة لو خرجت. لقد وعدته بقبول دخول اسماعيل شـرين. هل تريد أن تفضحنى.

وكانت الدموع تترقرق فى عينيه. فسـكت. وأعتقد أن أكـبر خطأ فى حياتى ارتكبته هو قبولى لذلك الوضع. ولا أزال نادما عليه حتى الآن.

وفى السادسة مساء جاء اسماعيل شيرين ليحلف معنا اليمين.

وهنا لا بد أن أقرر حقيقة وهى أنه حين عرضت عليه الوزارة اعتذر عن عدم قبولها. ولكن الملك أصر واجبره على القبول..

كنا مساء الاثنين ٢١ يوليو..

ولم نكن نعرف أن عمر هذه الوزارة لن يتجاوز ٢٤ سـاعة .. وأحداثا خطيرة سـوف تقع تغير تاريخ مصر.

□□□

١ – الملك فاروق بين وزرائه لآخر مرة .

٢ – حسين سرى باشا .

٣ – عثمان المهدى .